

عنوان المحاضرة: قصيدة الومضة

لجأ كتاب قصيدة النثر إلى التوقعات والومضات الشعرية الخاطفة التي كانت نصاً مكتفياً يميل إلى الإدهاش والمفارقة. وقصيدة الومضة معروفة في الثقافات المختلفة، فهناك على سبيل المثال قصيدة «الهايكو» في الأدب الياباني، وقصيدة الإيجراما في الأدب الإنجليزي، كما تعددت مسميات قصيدة الومضة: القصيدة المضغوطة، القصيدة الكتلة، والمركزة، والمكثفة، لأنها في غاية الإيجاز، وقصيدة الدفقة كأنها تندفق من باطن الشاعر دفقةً وتنقش على ورقته بالقلم. وقصيدة الفقرة لأنها لا تتجاوز من فقرة واحدة كفقرة نثرية. وقصيدة اللمحة لأنها تلمح على ذهن الشاعر، وقصيدة المفارقة لأنها تفارقُ القوائد المعتادة. وقصيدة الأسئلة لأنها في جواب سؤالٍ أو أسئلةٍ أو نفسها سؤالٍ أو أسئلةٍ. وقصيدة القص الشعرية كأنها اقتصت من قصيدة طويلة. وقصيدة تأملية لأنها نتيجة تأمل الشاعر في مظاهر الكائنات والأنفس. والقصيدة اللافتة لأنها ك لافتة رُسمت بريشة شاعر فنان. والقصيدة اللاقطة كأن الشاعر يلتقطها بين أفكارٍ مختلفةٍ.. إلخ

تعريف قصيدة الومضة: لغة:

الومضة لغةً من «ومض» وومض البرق: لمع خفيفاً، وأومضت المرأة: سارقت النظر، وأومض فلان: أشار إشارة خفية. وفي هذا المعنى شيءٌ من اللعان والتلألؤ والتألق والإشراق والتوهج، وفيه شيءٌ من الإدهاش والتشويق، وفيه شيءٌ آخر من الشفافية والغموض الأسر وعدم الإيضاح لكل شيء. وفيه شيءٌ آخر من التكثيف والاختزال والاقتصاد اللغوي.

اصطلاحاً: هي القصيدة التي تعتمد على الاقتصاد اللغوي والاختزال والتركيز والكثافة، وتعتمد على نصوص متوسطة الطول وشذرات شعرية قصيرة تحيل على معان واسعة.

لقد أطلق النقاد مصطلح "التوقيع" على القصيدة التي تبدو كالوميض، أو البرق الخاطف، وعلى الصورة الشعرية ذات الإشعاع القوي حين تتولد منها إثارة مفاجئة في اللاشعور. إنها تلتقط في لحظة انبهار ضوئي يكشف جزئيات، وحساسيات ذهنية في غاية الحدة قد تكون ناقدة، أو ساخرة تهكمية.

وقد سميت توقيعاً؛ لأن الشكل الشعري يشبه التوقيع في الرغبة في الإيجاز، وكثافة العبارة، وعمق المعنى، فيحول الشاعر عبر التوقيع شعريته إلى خطاب اتصالي يثير انفعالات المتلقي، ويجعله يشاركه مشاعره.

تثير التوقيع لدى المتلقي الدهشة، وتدخله إلى عالم الشاعر، وتتجم شعريتها عن موقف انفعالي، وقد تأتي في خاتمة المقطع أو القصيدة، وقد تكون القصيدةُ قصيدةً توقيعاً/ ومضة.

يقول الشاعر توفيق أحمد:

أرسمُ صورةً متخيلةً لغدٍ // أرجو أن يكونَ دافناً كالصقيع // ومالحاً كماء النبع
الذي كنتُ أتقاسمُ ضقتيه // أنا وحببتي كلَّ صباح

يقول الشاعر: كمال نشأت في قصيدة "الأبواب":

"الرجل الذي شاركني السكن/ لا يغلق الأبواب عند الخروج/ سألته.. أجب: إنك ابن هذه المدينة/ أما أنا، فموطني الحقول/ وبابي السحاب

خصائصها:

**لا تقوم التوقية أو الومضة على شعرية الجملة الواحدة؛ بل على شعرية الرؤيا في إطارها البنيوي. فيرتقي الشاعر باللغة مشكلاً كلمات يرتفع مستواها الدلالي، وحين يتمكن المتلقي من القبض على جوهر النص تحدث المتعة الفنية.

**أن تكون القصيدة مكثفة موحية مؤلفة من عدد من التوقيعات لها شعريتها الخاصة. إنها شعرية الومضة، شعرية التقابل والتضاد المعبرة عن الحال النفسية المتأزمة لدى الشاعر: تأزم في الزمان والمكان، تعدد في الظلال الرؤياوية، استرسال سردي، فتأزم، فتشوق إلى النهاية التي تبلغ عندها الأبيات ذروة الختام.

**تولي أهمية كبرى للمتلقي، فيظهر الشاعر درجة من الذكاء تتطلب بالمقابل من المتلقي أن يكون على درجة عالية من النباهة؛ ليستوعب التوقية المتضمنة رمزاً وسخرية ** فالومضة شكل من أشكال الانزياح الذي يباغت المتلقي ويخيب أفق انتظاره.

**

-*- يقول أدونيس في المئذنة:

" بكت المئذنة

حين جاء الغريب اشتراها

بنى فوقها مدخنة"

-*- ومضة للشاعر أيمن معروف

"لا يكتب أغنية

لا يشرب غليوناً/ لا ينتظر امرأة

لا يبحث عن أحد ما/ يجلس في المقهى/ و يحدق في الناس الآتين

-*- يقول سعد عودة:

عندما أفاق// وجد حلمه على وشك الخروج// من الغرفة// فالتحف بيبأسه// ونام

-*- يقول وادي الحلفي:

أيها المحبوك بحب النخيل// وانت تهز جذع البنادق// لينهال الرطب

هكذا انحنت لك السنابل// عند اخضرار عودك// في سماء الوطن

-*- يقول خالد العزاوي:

أنا وطن كبير// يبحث عن ظل// في خوذة// جندي

-*- يقول أحمد مطر في لافتة إضاءة:

يخيم الصباح// فأرفع الستارة عن نافذتي// وأشعل المصباح.

عوامل نشأتها:

الومضة الشعرية وسيلة من وسائل التجديد الشعري، أو شكل من أشكال الحداثة التي تحاول مسايرة التطورات الأدبية المعاصرة، مناسبة في شكلها مع مبدأ الاقتصاد الذي يحكم حياة العصر.

أ: تحولات فنية وفكرية معاصرة: قام بها عددٌ من الشعراء الجُدد، وعددٌ ممن قادوا الحركة الشعرية. « يعبر الشعراء العرب بواسطة الومضة الشعرية عن تدمرهم من أوضاع بلادهم وعن أملهم في بعث جديد ينتشلها من الموت ».

الومضة الشعرية ظهرت كتعبير عن روح العصر الذي صار كل شيء فيه يمرّ مُسرِعاً مُستعجلاً وكأنه ومضة خاطفة لا تدوم طويلاً ولكن أثرها يبقى مشعاً؛ ومع تطوّر الحياة وتعقدها انطلق الشعراء في رحلة البحث، مرّة أخرى في محاولة للتجديد الشعري؛ هذا التجديد الذي لم يأت تلبيةً لمجرد الرغبة في التجديد بل لأن الحياة الجديدة التي تتركس مبدأ الاقتصاد في كل شيء تطلب شعراً جديداً... شعراً مختلفاً.

ب: المؤثرات الأجنبية: تأثر شعراء الومضة الشعرية بمؤثرات في الأدب الأوروبي شعره ونثره، ففي شعره تأثروا (بالمقطعات الشعرية الانكليزية القصيرة جداً) خاصة باستخدامات البيوت الشعرية، وفي نثره تأثروا بـ«حركة الأدني» «Minmalism» التي برزت في الولايات المتحدة، ونادت «بكتابة مختصرة لحياة مختصرة» ورأت أن القصة القصيرة أو الأقصوصة هي خير تطبيق لهذا المبدأ وهي الأكثر ملاءمة لروح هذا العصر الذي يوصف بعصر السرعة، فإن الومضة الشعرية بالمقابل هي وليدة هذا العصر، وإن ما يقال عن القصة القصيرة يقال عن الومضة تقريباً، وكأنهما توأمان تخلقتا في رحم واحد ولدتا في وقت متقارب، وتجمعهما خصائص مشتركة وملامح متقاربة وكثيراً ما تقرأ نصاً وتقول عنه قصة قصيرة جداً، وفي الوقت نفسه بإمكانك أن تقول عنه إنه ومضة شعرية. يرى بعض الباحثين أن قصيدة الومضة متأثرة بنمط من الشعر الياباني المعروف بـ«الهايكو» الذي يقوم على التركيز والتكثيف والاقتصاد اللغوي.

تمثل قصيدة الهايكو بضرب من الشعر المقتضب الدقيق الذي ينظمه الشعراء اليابانيون منذ القديم ازدهر الـ"هايكو" في مرحلته الأولى في القرن الـ17 م، بفضل "باشو"، المعلم الأول لهذا الفن يشكل كل من الشاعر والرسام "بوسون" (1716-1783 م)، "ماسا-أوكا شيكي" (1867-1902 م) و"كوباياشي إسا" أعمدة هذا الفن.

الهايكو هو نمط من أنماط الكتابة اليابانية يتكون من مقاطع كل مقطع 3 أو 5 أسطر، يعبر عنه بجمل مكثفة وبسيطة، وهو جزء من الثقافة اليابانية وهي تشبه قصيدة الومضة لدينا لأنها متقاربة معها بالدلالة والتكثيف والتركيز والاقتصاد اللغوي والصورة.

تعتمد قصيدة الـ «هايكو» اليابانية على الأبيات الثلاثة

تعتمد قصيدة الـ «تانكا» اليابانية على نظام الأبيات الخمسة.

أ: نموذج من شعر الـ "هايكو": يا بابُ ديرنا السميكَ / الهاربونَ خلفَ صخرِكَ السَّميكَ / افتح لنا نافذةً في الروح.

ب: نموذج من الـ "تانكا": أجابَ شيخٌ يحملُ الفانوسَ في يديه/ يورِّغُ الشمعات/ على أطراف روحنا البوار/ وحينَ سلّمنا عليه /بكى ... واصفرَّ لونه ... ومات (عز الدين المناصرة) من خصوصيات قصيدة الهايكو: رفضها الاستعارة والتشبيه وتحريها الموضوعية وبعدها عن تصوير المشاعر الذاتية.

كما تأثر شعراء الومضة بـ قصيدة الـابيجراما: قصيدة الإبيجراما بالإنجليزية (Epigram) : كلمة مركبة من كلمتين هما epos و graphein، مستوحاة من اللغة اليونانية القديمة وكانت تعني الكتابة على شيء، أو النقش على الحجر في المقابر، بوصفها عملية إحياء لذكرى المتوفى، أو نحت تمثال لأحد الشخص، إلى أن تحولت إلى نوع شعري قائم بذاته . والإبيجراما هي نوع شعري قديم تم تعريفه في الأدب اليونانية القديمة والأوروبية والعربية؛ أما في الأدب الأوروبية فقد تحولت في القرن السابع عشر من قبل جون دن، وأسكار وايلد إلى فن شعري قائم بذاته له سماته ومعاييرته التي يمكن أن يتم الاحتكام إليها. وعرف الإبيجراما الشاعر الرومانسي الإنجليزي كولردج بقوله: "إنها كيان مكتمل وصغير، جسده الإيجاز، والمفارقة روحه".

كان يقصد بالإبيجراما في النقد الأدبي القصيدة القصيرة التي تتميز على وجه الخصوص بتركيز العبارة وإيجازها، وكثافة المعنى فيها، فضلاً عن اشتغالها على مفارقة، وتكون إما مدحاً أو هجاءً أو حكمة .

أما في الشعر فكانت تتشكل أحيانا من جزء من القصيدة، يتمثل في بيتين أو رباعية دون أن يكون لها كيان مستقل. وارتبطت قصيدة الإبيجراما ارتباطاً شديداً بالنصوص التراثية مثل القرآن الكريم والكتاب المقدس والأساطير والتراث الشعري . يمكن القول بأن الإبيجراما هي نوع أدبي قائم بذاته له معاييرته، وأحكامه من حيث الشكل والمضمون، مثل اللغة، والصورة الشعرية، والإيقاع، والتناسل . وقد تميزت لغة الإبيجراما بالإيجاز والتكثيف وابتعدت عن استخدام المفردات الركيكة.

سمات «الومضة الشعرية» :

أ: **التفرد والخصوصية**؛ أي لا يمكن تصنيف القصيدة الحديثة تحت أي غرض من الأغراض الشعرية العامة التي انحصرت فيها التراث الشعري القديم من مدح وفخر وهجاء ورتاء ووصف وغزل و... إن الشاعر الحديث يهدف إلى أن تكون قصيدته إبداعاً بكرًا، ومن ثم فهو شديد الحرص على أن ينظر إلى الوجود من زاوية لم يسبق لأحدٍ قبله أن ينظر إليه منها، وأن يعالج هذه الرؤية الخاصة بطريقة فنية متفردة.

ب: التركيب؛ لتتعدد الأدوات الفنية التي يستخدمها الشاعر وطريقة استخدامه لها، ولميل القصيدة الحديثة إلى أن تكون كياناً متفرداً خاصاً، أصبح بناء هذه القصيدة على قدر من التركيب والتعقيد يقتضي من قارئها نوعاً من الثقافة الأدبية والفنية الواسعة.

ج: الوحدة؛ على الرغم من أن القصيدة الحديثة تتركب من مجموعة من العناصر والمكونات المتنوعة، والمتناثرة في بعض الأحيان، فإن ثمة وحدة عميقة تؤلف بين هذه العناصر، وتتنحصر فيها هذه المكونات المتناثرة المتناثرة لتصبح كياناً واحداً متجانساً، لا تفكك فيه ولا تنافر.

د: الإيحاء وعدم المباشرة: من السمات البارزة في القصيدة الحديثة أنها لا تعبر تعبيراً مباشراً عن مضمون محدد واضح، وإنما تقدم مضمونها الشعري بطريقة إيحائية توحى بالمشاعر والأحاسيس والأفكار ولا تحدها أو تسميها، ونتيجة هذا، فإن القصيدة الحديثة لا تحمل معنى واحداً متفقاً عليه، ومن الخطأ أن نتطلب من كل قصيدة أن يكون لها معنى واقعي وحيد.

بنية قصيدة الومضة: تعتمد على الجمع بين الإجراءات المتناقضة؛ أي إنها تعتمد على فكرة التضاد، وتقوم على قانون التعويض الشعري، إذ إنها تتألف من ثلاثة عوامل متزامنة تنصب كلها في بؤرة واحدة لإحداث فعاليتها الجمالية، وهي بالترتيب:
أ - تعطيل الأوزان العروضية المتداولة.

ب- تفعيل أقصى الطاقات الشعرية الممكنة.

ج- إبراز الاختلاف الدلالي الحاد.

لكي يحقق الشاعر المعاصر لقصيدته سمة الإيحاء فإنه يلجأ إلى استخدام مجموعة من الأدوات والتقنيات الفنية بعضها مستمد من التقاليد الموروثة للشعر منذ أقدم عصوره، كاللغة الشعرية، والصورة الشعرية، والموسيقى الشعرية، وبعضها الآخر من التقاليد الشعرية الحديثة؛ كالرمز، والمفارقة التصويرية، وبعضها الثالث استعاره الشاعر من الفنون الأدبية الأخرى، تراثية كانت، أو حديثة، حيث استمد من الفنون الأدبية العربية التراثية بعض قوالبها الفنية كقالب المقامة، والتوقيع مثلاً، كما استعار من الرواية الحديثة أسلوب الارتداد (الفلاش - باك)، والمونولوج الداخلي، وغير ذلك كما استعار من المسرحية: تعدد الأصوات، والحوار، والصراع.